الحلقة (٢٥)

كان الحديث في نهاية الحلقة الماضية عن: الرد على استدلالات المعتزلة بـ قول الله سبحانه وتعالى: {قَالَ رَبِّ أَرِنِي} وبقوله تعالى {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} وكيف نرد عليهم؟ وقد ذكرتُ في الحلقة الماضية أن الرد على استدلالهم بالآية الأولى من عدة أوجه:

▪الوجه الأول: أن هذا لا يُظنّ بكليم الله تعالى موسى أن يسأل مالا يجوز عليه فهو سأل أمراً جائزاً.

▪الوجه الثاني: أنّ الله لم ينكر عليه سؤاله.

▪الوجه الثالث: أن الله تعالى قال {لَنْ تَرَانِي} ولم يقل: [إني لا أرى].

▪الوجه الرابع: قوله سبحانه وتعالى في باقي الآية {وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

▪الوجه الخامس: أن الله سبحانه قادرٌ على أن يجعل الجبل مستقراً وذلك ممكن.

▪الوجه السادس: قوله تعالى {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا} فإذا جاز أن يتجلى الباري جلّ وعلا أن للجبل الذي هو جمادٌ لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته وجنته.

▪الوجه السابع: في الرد على استدلال المعتزلة في قوله تعالى {لَنْ تَرَانِي} :أن الله كلّم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطَبه كلامه بغير واسطة؛ فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا **لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه**، والمعتزلة قد جمعوا بينهما.

يعني التلازم أن القول في أي صفة من الصفات كالقول في باقي الصفات، وهذه من القواعد في الأسماء والصفات.

وأما دعواهم تأبيد النفي بـ(**لن**) وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة ففاسد، دعواهم بأنّ قول الله سبحانه تعالى {لَنْ تَرَانِي} قالوا: لن هنا تفيد التأبيد، وهذا يدل على نفي الرؤية في الآخرة.

وهذا مردود فإنّ (**لن**) لو قيّدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أُطلقت، لفظة (**لن**) إذا قيّدت بالتأبيد، يعني معها (**أبداً**) لا تدل على دوام النفي في الآخرة، يقول الله سبحانه وتعالى {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا} في حق الكفار، وقال تعالى {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} إذن هم لن يتمنوا الموت {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا} لن يتمنوا الموت أبداً ومع ذلك نادوا وقالوا {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} يريدون الموت.

ولأن (**لن**) لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قول الله سبحانه {فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي} فإذن إذا أذن له أبوه فإنه سيبرح تلك الأرض، فثبت أنّ لن لا تقتضي

النفي المؤبد، يقول الشيخ جمال الدين بن مالك في الألفية يقول:

ومن رأى النّفي بلن مؤبّدا ****فقوله أُردد وسواه فاعضُدا

■ **الرد على استدلالهم بالآية الثانية** {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}

قالوا: يقولون إنّ الله سبحانه وتعالى يقول: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } وأنتم مع ذلك يا أهل السنة تقولون: أنّ الرؤية ثابتة لله سبحانه وتعالى وجائزة في الآخرة.

فالاستدلال بها على الرؤية من وجهٍ حسن لطيف...كيف؟ الله سبحانه وتعالى يقول: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} وفي هذا دليل على إثبات الرؤية، وهو أنّ الله تعالى: إنما ذكرها في سياق التمدّح، ومعلومٌ أنّ المدح إنّما يكون بالصفات الثبوتية.

وأمّا العدم المحض فليس بكمال، فلا يُمدحُ به، وإنّما يُمدحُ الربّ تعالى بالنفي إذا تضمّن أمراً وجودياً، كمدحهِ بنفي السِّنَةِ والنّوم المتضمِّنِ كمال القيّوميّة، ونفي الموت المتضمِّنِ كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمّن كمالَ القدرة، ونفي الشريك والصاحبةِ والولد والظهير المتضمّنِ كمال ربوبيته وإلهيتهِ وقهره، ونفي الأكلِ والشربِ المتضمِّنِ كمالَ صمديتهِ وغناهُ، ونفي الشفاعةُ عندهُ إلا بإذنهِ المتضمّنِ كمالَ توّحدهِ وغناهُ عن خلقهِ، ونفي الظلمِ المتضمّنَ كمالَ عدلهِ وعلمهِ وغناهُ، ونفي النسيان و عزوبِ شيءٍ عن علمهِ المتضمّنِ كمال علمهِ وإحاطتهِ، ونفي المثل المتضمّن لكمال ذاتهِ وصفاتهِ، ولهذا لم يتمدّح بعدمٍ محض لا يتضمّنُ أمراً ثبوتياً، -يعني ما قال {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } لابد أن نعرف ما المدح في هذا {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } ؟- فإنّ المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمرٍ يشتركُ هو والمعدوم فيه، إذن المعنى: أنهُ يُرى ولا يُدركُ ولا يُحاطُ به، ما قال لا تبصره الأبصار ولا تنظر إليه الأبصار، بل قال {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } المعنى إذن من الآية {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } :أنهُ يُرى ولا يُدركُ و لا يُحاطُ به.

فقوله {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } يدل على كمال عظمته وأنّه أكبرُ من كلّ شيء، وأنه لكمال عظمتهِ لا يُدرَكُ بحيث يُحاطُ به، كما قال تعالى {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُون قَالَ كَلَّا} فلم ينفِ موسى الرؤية وإنّما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كلٌّ منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالربُّ يُرى ولا يُدرك،كما يُعلمُ ولا يُحاطُ به علما، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذُكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه، هذه الشمس التي هي أكبر من الكواكب السيّارة كلها، هل يستطيع الإنسان أن يقول: أنا رأيت الشمس، لكن هل أدركت الشمس؟ لا يستطيع إدراكها على ما هي عليه.

❖ **أما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه** رضي الله عنهم أجمعين الدالة على الرؤية **فمتواترة**، رواها أصحابُ الصحاحِ والمساندِ والسنن فمنها:

١- حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أنّ ناساً قالوا: يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله! قال: هل تضارّون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنّكم ترونه كذلك) الحديث أخرجاه في الصحيحين بطوله.

٢- حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه في الصحيحين نظيره.

٣- وحديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال كنّا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: (إنّكم سترون ربكم عيَاناً كما ترونَ هذا لا تُضامُّونَ في رؤيته)، الحديث أخرجاه في الصحيحين.

٤- وحديث صهيب المتقدم أيضاً رواه مسلم كما ذكرنا في تفسير الزيادة.

٥- حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال في الحديث: (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، ومابين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) أخرجاه في الصحيحين.

٦- ومن حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه (و لَيَلقَيّنّ اللّهَ أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولاترجمان يُترجمُ له، فلَيقولنّ ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك، فيقول: بلى يا رب! فيقول: ألم أُعطك مالاً وأُفضل عليك؟ فيقولُ: بلى يا رب) الحديث أخرجه البخاري في صحيحة.

فقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاطَ بها معرفةً يقطع بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قالها متواترة، لولا كثرة هذه الأدلة لما ظهر بطلان وضلال المعتزلة الذين يحرفون النصوص، مع أنهم يتعرضون لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بأنها آحاد ويردونها، فهم الآن يتعرضون لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المتواترة ويردونها بمحض عقولهم الضعيفة الضالة.

مع ثبوت الرؤية لله سبحانه وتعالى، يثبت أنه سبحانه وتعالى يكلم من شاء وهذا جاء في الأحاديث أنه يكلّم من شاء، إذا شاء، وأنّه يأتي الخلق لفصل القضاء يوم القيامة، وأنّه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوتٍ يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب، وأنه يتجلّى لعباده وأنه يضحك...إلى غير ذلك من الصفات، التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق، الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم ممن شاكلهم، وذكرنا في بداية الحلقات أن **الجهمية:** كل من ينكر الصفات فيسمّى عند السلف جهمي، أو يتعرض للصفات بتحريف، المهم أنه لا يعتقد في الصفات كما يعتقد السلف الصالح، فهذه الأحاديث بمنزلة الصواعق على الجهمية، ولذلك هم يحاولون دائماً تأويلها وردها.

أصول الدين لا تعلم إلا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وكيف تعلم أصول الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بل كيف يفسّر كتاب الله بغير ما فسّره رسوله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم، الذين نزل القرآن بلغتهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) الحديث

أخرجه الترمذي.

وفي روايةٍ: (من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوأ مقعده من النار)، وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى:{ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا }ما الأبُّ؟ فقال: أيُّ سماءٍ تُظلُّني ! وأيُّ أرضٍ تُقلني إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم"، الأبّ هو: نوع من النبات الصغير قريب من الأرض، ولم يكن أبو بكر رضي الله عنه يعلمه، وإنّما هذا من لغة غير لغة قريش، فلم يكن يعلم، لذلك تورّع رضي الله عنه وأرضاه عن الخوض فيما لا يعلم.

وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي.

عندما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (تنظرون إلى الله في الحديث كالشمس ليس دونها سحاب والقمر ليلة البدر) ليس هنا تشبيه الباري جلّ وعلا بالقمر أو بالشمس، وإنما هو تشبيه الرؤية بالرؤية، كما تنظر إلى الشمس وكما تنظر إلى القمر، إذن هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله سبحانه وتعالى على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟! ومن قال يرى لا في جهة فليراجع عقله، فإمّا أن يكون مكابراً لعقله أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يُرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولاعن يمينه ولاعن يساره ولا فوقه ولا تحته، كما يفعل المبتدعة، ردّ عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.

ولهذا ألزم المعتزلة من نفى العلو بالذات، بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تُعقل رؤية من غير جهة؟! المعتزلة ألزموا من ينفى العلو بنفي الرؤية، قالوا: لا تثبت الرؤية، إنك إن أثبت الرؤية، أثبت العلو، فإذا نفيت العلو، فإنك تنفي الرؤية

← مسألة: عجز الأبصار عن رؤيته سبحانه وتعالى في الدنيا

نتكلم نحن عن ثبوت رؤية الله في الآخرة، وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدّق الرائي البصر في شعاعها ضعُفَ عن رؤيتها، لا لامتناعٍ في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته سبحانه وتعالى، نسأل الله الكريم من فضله، ولهذا { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ }، لأنه لا يراك حيٌّ إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية المَلَك في صورته، إلا من أيّدهُ الله كما أيّد نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم.

وجبريل كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بصورة دحية الكلبي، وكان يأتي بغير شكله الذي خلقه الله عليه، يقول الله تعالى {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ} قال غير واحدٍ من السلف: "لا يطيقون أن يروا الملَك في صورته، فلو أنزلنا إليه ملكاً لجعلناهُ في صورة البشر، وحينئذٍ يشتبه عليهم، هل هو بشرٌ أو مَلك"، ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منا، لذلك جبريل

عليه السلام عندما أتى يُعّلم الناس أمر دينهم، جاءهم في صورة رجل لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة، وكذلك ورد أنه أتى بصورة الصحابي الجليل دحية الكلبي.

وما ألزمهم المعتزلة، ألزموا نفاة العلو بالذات نفي الرؤية، ما ألزموهم هذا الإلزام إلا لمّا وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه، لأن قول من أثبت موجوداً يُرى لا في جهة؛ أقرب إلى العقل من قول من أثبت موجودا قائماً بنفسه لا يُرى ولا في جهة.

ويقال لمن قال بنفي الرؤية: لازمها، وهو الجهة، أتريد بالجهة أمراً وجودياً أو أمراً عدمياً ؟

فإن أردت بها أمراً وجودياً كان التقدير: كل ما ليس في شيء موجود لا يرى، وهذه المقدمة ممنوعة ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة، فإنّ سطح العالم يمكن أن يرى وليس العالم في عالم آخر.

وإن أردت بالجهة أمراً عدمياً، كانت المقدمة الثانية ممنوعةً، فلا نُسّلمُ أنه ليس في جهةٍ بهذا الاعتبار، وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان وفلان.

وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول، ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، المنقول إلينا عن الثقات النقلة، الذين تخيّرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلو نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان، بل كانوا يتعلمون القرآن بمعانيه، ومن لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه، ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله ولم يتلقَ ذلك من الكتاب والسنة فهو مأثوم وإن أصاب ، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور، فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يُضاعف أجره.